ذكرى الـ 30 من نوفمبر.. عِبر ودروس

عادل العبيدي

ونحن نحتفل اليوم بالذكرى الـ ٥٤ لاستقلال الجنوب من الاستعمار البريطاني الذي كان في ٣٠نوفمبر ١٩٦٧م، يجب علينا كجنوبيين قيادة ومواطنين أن لا يكون احتفالنا هذا احتفالا عابرا فقط، بل يجب علينا أن نأخذ منه العبر والدروس من جميع ما أحدثناه من أخطاء سابقة في استقلالنا الأول، ومنها نعتبر في كيفية الحفاظ على سيادة دولتنا الجنوبية من بعد الاستقلال الثاني إن شاء الله، ونعض عليها بالنواجذ، خاصة ونحن قد قطعنا أشواطًا نضالية كثيرة وكبيرة في سبيل التطلع إلى استعادة دولتنا الجنوبية (الاستقلال الثاني للجنوب) من براثن قوى الاحتلال الشمالي الظالمة، أشواطًا سياسية وعسكرية ودبلوماسية وإعلامية وتنظيمية.

فمن الاستقلال الأول للجنوب ستؤخذ بعين الاعتبار كل العبر من كل الأخطاء التي رافقت نظام دولة الجنوب السابقة، التي كانت سببا لوقوع الجنوبيين في فخ ما تسمى (الوحدة اليمنية المشؤومة)، وستكون دولة الجنوب التي سيعلن عنها بعد الاستقلال الثاني للجنوب إن شاء الله، دولة خالية ومنزهة من كل تلك الأخطاء السابقة، وذلك لأن الجنوبيين في دولتهم الجديدة سيكونون هم فقط الذين سيديرون دفة الحكم فيها، وهم فقط الذين سيحددون شكل نظام الحكم فيها، ولن يقبل أبناء الجنوب مجددا أن يكون وطنهم مرهونًا بيد أبناء الشمال وتحت سيطرتهم، الذين يحاولون هذه الأيام وبصفة دولية عن طريق المفاوضات الأممية جعل الجنوب تابعًا لهم، من خلال إصرارهم على أن يكون الحل الأممي لمشاكل اليمن وفق تمسكهم بالمرجعيات الثلاث، أو وفق مشاريع سياسية احتلالية أخرى يستطيعون بها إبقاء الجنوب مربوطا بيمنتهم.

لذلك فإنه على الجنوب مستقبلا، أي بعد الاستقلال الثاني، عليه أن لا يسمح لأيّ من أبناء الشمال أن يشاطروا الجنوبيين الحكم أو تحديد نوعية الحكم لدولتهم الجديدة، فكل المصائب التي لحقت بالجنوب وبمنطقة الجزيرة والخليج من بعد استقلال الجنوب الأول إلى الوحدة المشؤومة، إلى حرب الحوثي، قد كان أبناء الشمال هم السبب الأكبر فيها.

ما زال أبناء الجنوب يتذكرون ذلك ولم ينسوا أنه وعندما سمح لأبناء الشمال الوافدين إلى الجنوب الحاملين أفكارا ونظريات لا تصلح أبدًا للحياة العربية الإسلامية، أن يشاطروهم في حكم الجنوب وفي تحديد نظام الحكم فيه بعد الاستقلال الأول ووفق تلك الأفكار والنظريات التي جاءوا يحملونها، قد رأوا كيف أن الشماليين وبتآمر منهم قد جعلوا الجنوب خلال فترة الاستقلال الأول معزولا عن محيطة الإقليمي والعربي.

في الاستقلال الثاني للجنوب يجب أن نكون بعيدين كل البُعد عن أن نقع في فخ الشماليين مرة أخرى، مهما كانت الذرائع والمسميات التي سيطرحونها في المفاوضات، التي بها سيحاولون تأمين بقاء الجنوب تابعًا لهم، وسيكون الجنوب باستقلاله الثاني قريبا كل القرب بعلاقاته الأخوية الصادقة المخلصة مع دول المنطقة العربية والخليج والعالم، خاصة بعد أن اتضحت الرؤية من بعد حرب الحوثي، أن أنظمة الشمال قاطبة، من نظام صالح إلى نظام ما تسمى الشرعية إلى نظام الحوثي، جميعها كانت وما زالت مصدر قلق لدول الجوار، بينما الجنوب أصبح مصدر أمن واستقرار دول الجوار الشقيقة.

المشهد السياسي والعسكري

نصر هرهرة

سبع سنوات حرب في اليمن عانى منها الشعبان في الشمال والجنوب الأمرّين، قتل وجرح، وشرد الكثيرين، وتهدمت البنى التحتية وانهارت الخدمات وتدهورت معيشة الناس وانهارت مؤسسات الدولة وانهارت العملة وارتفعت الأسعار وانقطعت المرتبات وأصبح حوالي ٨٠ ٪ من الناس بحاجة إلى الإعانات الإنسانية، وانحدر الكثيرون إلى مستوى الفقر المدقع (فقر الجوع) وفي نفس الوقت خسرت دول التحالف وفي المقدمة المملكة العربية السعودية والإمارات مليارات الدولارات، وتعرضت أراضيها وبنيتها التحتية والاقتصادية لهجمات الحوثي وتشوهت سمعتها في الخارج وخصوصا في مجال حقوق الإنسان، وأثرت سلبا على العلاقات داخل مجلس التعاون الخليجي وعلاقاتها مع الخارج، وما زالت الحرب مستمرة وتبدو الصورة اليوم كأنها حربا إقليمية إيرانية سعودية ولا نستبعد أن يكون لها مدى أبعد من ذلك رغم أنها اندلعت لتحقيق أهداف محددة هي عودة الوضع في صنعاء إلى ما كان عليه قبل انقلاب الحوثي وتنفيذ ما تسمى المرجعيات الثلاث وقرار مجلس الأمن ٢٢١٦، فهل تحقق شيء من تلك الأهداف؟ وهل ما زالت حية وقابله لتحقيق؟

الحقيقة أن تدخل التحالف جاء لتحقيق الأهداف المذكورة آنفا - كما هو معلن ووفق قرار مجلس الأمن - لكن تشعر السعودية أن انقلاب الحوثي المدعوم من إيران هو توسيع للنفوذ الإيراني في المنطقة وتهديد مباشر لأمنها ووجودها وأن الحرب فرضت عليها، لكن بعد سبع سنوات حرب لم تحقق نجاحًا يوقف ذلك التهديد بل ربما هو في حالة تزايد رغم نجاح الضربة الجوية الأولى لمنظومة الدفاع الجوي والرادارات والمطارات وغيرها، ولكن من خلال تطورات الحرب ترى أنه من الصعوبة تحقيق أهدافها بالحرب، فحاولت العمل على محور آخر تمثل في التفاوض مع إيران مباشرة لكنها لا تمتلك ما يمكن أن تضغط به على إيران أو ما يمكن أن تقايض به، ناهيك عن أن إيران قد لا تستطيع الضغط على الحوثيين كما تريد، وكما يبدو أن المفاوضات بينهما لم تحقق نجاحًا يذكر فذهبت المملكة لمحور ثالث وقدمت مبادرات سلام للحوثيين بعد أن تأكد لها أنهم واقع على الأرض ويحظون بحاضنة شعبية ويصعب تحقيق أي انتصارات جديدة بنفس الأدوات ولا يوجد البديل الأفضل الذي يمكن أن يقدم من الحلفاء اليمنيين المعتمدة عليهم حاليا، ولهذا يظل هاجس تهديد أمنها ومصالحها قائم وهو ما تبحث له عن ضمانات، وتريد وقف الحرب لكن أمام تعنت الحوثي وعدم جنوحه لسلام، معتقدا بأنه منتصرا وعلى التحالف والشرعية أن تستسلم له، فإن السعودية لا يوجد أمامها خيار آخر غير الاستمرار في الحرب.

ومع اقتراب مفاوضات فينا مع طهران يشدد العالم الضغط عليها في أذرعها، ومنها الحوثي في اليمن، ليحقق مكاسب على طاولة مفاوضات فينا، وقد ترافق ذلك مع متابعة المملكة لخيارها الوحيد الاستمرار في الحرب، لهذا نلاحظ التحركات وعودة التموضعات وتكثيف الغارات الجوية والصمود في الدفاع عن مأرب الذي يعتبر سقوطها فشلا ذريعا للتحالف وسقوط للشرعية.

أما الحوثي فإنه يشعر اليوم بأنه أقوى من أي وقت مضى وأن استمرار الحرب لصالحه لأنه يعتقد أنه ما زال بإمكانه أن يحقق مكاسب أكثر على الأرض والثروة خصوصا في مناطق النفط والغاز ويري أن الحصار وتدخل التحالف العسكري لم يعد ذا تأثير أكبر، قد يكون لانتهاء بنك الأهداف وأن الحصار قد فشل وأنه قد حقق إنجازا في اتفاق استوكهولم.

إن الهزيمة الأكبر هي للقوى السياسية اليمنية المدثرة بشرعية هادي والاعتراف الدولي فلم تحقق أي إنجاز خلال سنوات الحرب الماضية وهي تتجرع الهزائم كل يوم، ولو سقطت مأرب ستكون نهايتها الحتمية وأكبر علامات انهياراتها وهزائمها هي تسليمها الأرض والسلاح للحوثي وظهور مؤشرات لتخادم سري بينهما.

إن المتتبع لتطورات الحرب والهزائم وإعادة الانتشار والتموضعات سيلحظ أن هناك مؤشرات لتغييرات أو إعادة هيكلة للشرعية للحفاظ على هيكلها وتغيير جذري في قواها السياسية خصوصا بعد عودة العلاقات مع قطر وتركيا وإجراءات تركيا ضد الإخوان هناك وانشقاق الإخوان بين لندن وإسطنبول كثاني انشقاق كبير منذ الأربعينيات في جسد هذا التنظيم وظهور تفاهمات بين الانتقالي وجماعة طارق وتصاعد دور المقاومة التهامية رغم خيبة الأمل التي أصابتها من جراء إعادة التموضع في الساحل الغربي، أما الجنوب وقضيته العادلة يظل قيد النظر وحديثا مستقلا.

30 نوفمبر الخالد أبدًا رغم كل شيء

د. عيدروس النقيب

لا يحتاج الأمر إلى تفسير طويل ومتشعب، ولا إلى حملة دعائية صاخبة، فقد كانت معركة التحرير مصيرية بكل المعاني وخاض الشعب نضالاته المستميتة وقدم التضحيات الجسيمة، في سبيل تحقيق التحرير الناجز والاستقلال غير المشروط وغير المرهون بأية إرادة إلا الإرادة الشعبية وقد تحقق له ما أراد.

لقد مثل انتصار ٣٠نوفمبر رد اعتبار للتاريخ الجنوبي وللأمة العربية عامة، خصوصا وقد جاء بعد مضي خمسة أشهر على هزيمة حزيران التي تعرضت لها الجيوش العربية بفعل العدوان الإسرائيلي في الخامس من يونيو من نفس العام، على بلدان المواجهة، مصر والأردن وسوريا وفلسطين ولبنان.

جاء نوفمبر ليعيد الأمل إلى النفوس التي أحبطتها الهزيمة والأرواح التي أصابتها النكسة باليأس والانكسار.

وعندما نقول إن هذا التاريخ (الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧م) سيظل خالدا في ذاكرة الأجيال فهذا لا يأتي اعتباطا أو من باب الدعاية الإعلامية وحملات العلاقات العامة، ولكن من منطلق التحول الجذري الذي أنجزه هذا الحدث الكبير في حياة السواد الأعظم من أبناء الجنوب، الذين لم يكونوا يعرفون معنى الانتماء ولا قيمة المواطنة ولا مفهوم الهوية إلا بعد الثلاثين من نوفمبر وميلاد دولة الجنوب الحرة الفتية المستقلة.

لا يتذكر الجنوبيون يوم الاستقلال ويمجدونه فقط لأنه كان يوم تحرر البلد من ربقة الاستعمار وإعلان الدولة الجنوبية الجديدة بعد توحيد أكثر من ٢٣ دويلة في دولة واحدة، وهذا كان يكفي للتباهي والاحتفاء بالحدث، لكن الجنوبيون يتذكرون هذا اليوم الخالد ارتباطا بالتحولات النوعية التي أحدثها قيام دولة الاستقلال في حياتهم والتي نقلتهم من مجرد أرقام هامشية في قوائم سكان البلدان التي قلا تذكر في المحافل والمستندات الدولية إلى خانة المواطنة مكتملة الأركان، التي يتمتع فيها المواطن بحقوقه السياسية والاجتماعية والثقافية -المادية والمعنوية- ويغدو فيها سيدا على أرضه ومشاركا في صناعة القرار، ومستمتعا بما توفره له دولته الفتية من حماية وأمن ونظام وقانون وخدمات قل نظيرها في دول الجوار رغم محدودية الموارد ورغم حداثة التجربة ورغم الحصار الذي تعرضت له من قبل الكثير من الأشقاء.

بعد ٥٤ عاما على هذا اليوم العظيم، وبرغم الانتكاسة التي تعرضت لها التجربة الجنوبية من خلال الحرب العدوانية واجتياح الأرض وتدمير الحياة المؤسسية والاقتصادية ونهب الموارد وتهميش المواطن الجنوبي والعبث بمقدرات البلد وتقاسم كل ما على الأرض كمكافآت لأساطين العدوان والغزو، أقول رغم كل هذا ما تزال وستظل قيمة نوفمبر حية مجفورة في ذاكرة الأجيال ومدونة في أنصع صفحات التاريخ خالدة خلود هذه الأرض وشعبها الأبي المعطاء والمكافح الرافض للظلم والقهر ومحاولات الاستحواذ على الإرادة الشعبية ومصادرتها من قبل غزاة الأمس واليوم وورثتهم متعددي الأوجه والصور.

الحملة العدائية على يوم الاستقلال الوطني (٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م) وقبله ثورة الرابع عشر من أكتوبر المجيدة، ليست جديدة فهي تمتد إلى الأيام الأولى للثورة، وقد استمرت طيلة سنوات ما بعد الاستقلال، وتعود أسباب هذه الحملة إلى عوامل شتى، معظمها يرتبط بصراعات تلك المرحلة وما شهدته من فرز سياسي ومجتمعي له حيثياته التي ليس هذا مقام تقييمها، لكن المتضرر يلجأ دائما إلى التشهير بمن يعتبره السبب في تضرره، وذلك أمر مفهوم وحالة شهدتها كل ثورات العالم.

بيد أن الحملة الجديدة ضد ٣٠ نوفمبر وقبله ١٤ اكتوبر المجيدين تتخذ هذه الأيام صورة مغايرة، فالتباكي على زمن الاستعمار البريطاني لم يعد مقبولا ولا يجدي نفعا للقائمين عليه.

لذلك يلجأ بعض المضطربين نفسيا أو المأزومين ذهنياً إلى استدعاء مبررات أقل ما يقال عنها أنها خرقاء تفتقد لأي مضمون أو معنى، من قبيل أن تسمية جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية كانت هي السبب في غزو الجنوب واحتلاله من قبل الدولة التي يفترض أنها كانت شريكة في مشروع "الوحدة اليمنية" الفاشلة.

لن ننساق في مناقشة التفاصيل البلهاء لهذه الحملة البائسة التي لا هدف لها سوى التغطية على المجرمين الحقيقيين الذين حنثوا بالعهود ونكثوا بالوعود وداسوا بالمجنزرات على المعاهدات والوثائق التي وقعوها بأيديهم وحولوا الجنوب بدولته وتاريخه وثروته وأهله وهويته إلى مجرد ملحق بهم على أنهم هم الأصل وهو الفرع، لكننا نقول إن هذه الحملات لا تعبر إلا عن أحد أمرين:

إما عن عمى في البصر والبصيرة للقائمين عليها أو المساهمين فيها.

وإما أنها تمثل استمراراً لحملات تبرئة الجلاد وجلد الضحية وإدانتها.

ومن هنا يأتي تصوير الثلاثين من نوفمبر اليوم الأبرز والأكثر إشراقا في تاريخ جنوبنا الحبيب، على أنه "يوم النكبة" أو "يوم إشهار الاحتلال اليمني" للجنوب، كما يقولون، في استهانة فجة بعقول الأحياء من المناضلين وبكل الشعب الجنوبي، وازدراءً قبيحً لأرواح الشهداء الذين لم يبخلوا بتضحياتهم السخية من أجل حرية الجنوب واستقلاله وسيادته. فتح نيران العداء مع واحدة من أزهى فترات التاريخ الجنوبي وأكثرها إشراقا ومحاولة شطبها من الذاكرة الجنوبية، وهي محاولة بائسة بكل المعاني، كل هذا لا يعبر عن عدم الرغبة في التقييم الأمين للتاريخ الجنوبي، والبحث الرصين في عوامل النجاح ومسببات الإخفاقات، وهو عمل يزرع بذور فتنة لن يجني أصحابها من ورائها إلا الخيبة والفشل، ولن تعود على شعبنا إلا بالتتويه وتفكيك الصفوف وخدمة المتربصين بثورتنا الثانية وما أكثرهم. ومع ذلك سيظل يوم الثلاثين من نوفمبر خالدا في الذكرى والذاكرة الجنوبيتين، مهما احتفى العتاة بعتوهم والمفلسون بإفلاسهم والمنكسرون بانكساراتهم. المجد للثلاثين من نوفمبر. والخلود لشهداء الثورة والاستقلال المجيدين.